

## آيات في خلقها

في باب المراسلة في هذا الجزء رسالة لكاتب يرى ان التعطيل أي انكار وجود الخالق لا يضر أحدا . ونحن نرى انه يأتي بأكبر المضار ولكن هب انه لا يضر فهل هو معقول ؟

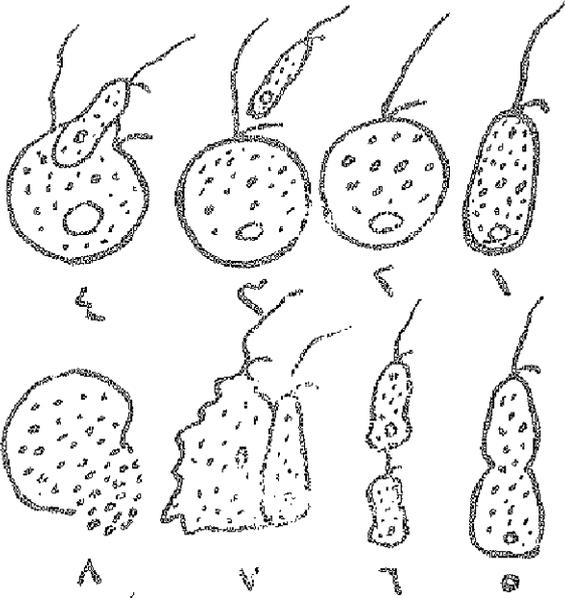
في إدارة المصنف مطبعة أو آلة طباعة يديرها سير من الجلد تحركه الكهرباء فتسحب الورق من لفين كبيرتين وتخرجه فوق حروف الطباعة بعد ان تحبها وتطبعه من وجبه وتقص منه صفتين بعد صفتين وتضع إحداهما داخل الأخرى وتلتصقها بها وتطويهما طولاً وعرضاً أربع طيات فيخرج المقطم منهما مطبوعاً مقصوماً ماصوقاً مطبوعاً . وهي تطبع كذلك اثني عشر الف نسخة في الساعة وتقصها وتلتصقها وتطويها وتعدّها تفعل ذلك كله من غير ان تساعد هيد أو يرشدها عقل . ولكن لقد اشتغلت عقول مئات من العلماء وعملت أيادي الالف من العمال مدة سنين كثيرة الى ان صارت هذه الآلة تعمل هذا العمل . وحتى الآن لا يخرج منها عدد واحد من المقطم مطبوعاً الا بعد ان تشتغل العقول وتعمل الأيدي في بلدان كثيرة في عمل الورق والخبر واستخراج الفحم الحجري وتوليد الكهرباء ناهيك بما يلزم للألات الكهربائية من المواد والعمال وبما لزم لسبك الحديد والنحاس والفضة والنيكل ونحو ذلك من المعادن التي دخلت في عمل آلة الطباعة وعمل الحروف وعمل الآلات الكهربائية . ولو احصينا جميع الذين اشتغلوا في عمل كل ما يلزم لطبع جزء واحد من المقطم لبلغ عددهم ألوفاً وعشرات الالوف . فمن يقول ان المطبعة تطبع الجريدة لذاتها وينكر كل ما وراءها من العقول بخلاف كل معقول .

يزرع القمح في هذا القطر في نحو مليون وربع مليون من الأفدنة ومساحة الفدان أربعة آلاف ومئتي متر مربع ولا يقل عدد السنابل في المتر المربع من مئتي سنبل . فعدد السنابل كلها التي تنبت كل سنة في القطر المصري وحده لا يقل عن مليون مليون سنبل أي أكثر من عدد كل سكان الأرض ست مئة ضعف . وفي

كل سنبله بل في كل حبة من حبوبها من الدقة في التركيب والحكمة في الوضع والصفات الموروثة والمكتسبة والاستعداد للنمو والتوليد ما لا يوجد عشر معشاره في آلة الطباعة المثار إليها أنفا . فمن يستطيع ان ينكر وجود العقل الموجد لها والمتولي

شؤونها ولو بايجاد القوى التي تحرك كل دقيقة من دقائقها وكل ذرة من ذراتها وإذا استنرت بنور الكيمياء وحلات دقائق حبة القمح وأيت ان كل دقيقة منها مؤلفة من ملايين وملايين الملايين من الذرات الصغيرة وكلها متحركة ولا تحرك اجزاء آلة الطباعة وفيها من الصفات والخواص ما يميز القمح الصيدي عن البحيري والهندي عن البلدي . ثم اذا علمت ان ما يزرع من القمح في هذا القطر ليس جزءا من مئة مما يزرع في الارض كلها ولا جزءا من مئة الف جزء مما ينمو من سائر

الحبوب والبروز وأيت ان عالم النبات وحده يذهل العقول حتى لا ترى لها مندوحة عن الاعتراف بالهوة الخالقة المدبرة



وعالم الحيوان لا يقل عن عالم النبات في غرابته . ترى في هذا الرسم حيوانا من اصغر الحيوانات الدنيا السابحة في الماء طوله جزء من ثلاثة آلاف جزء من العقدة

أي لو جمع ثلاثة آلاف حيوان منه ونظمت طولها في سطر واحد ما بلغ طولها أكثر من عقدة ( بوصه ) فلا يرى الا بالميكروسكوب ( الحجر ) واقب بعضهم هذا الحيوان في العام الماضي ودرس طبائمه وكتب عنه يقول : رأته أولا كما في الشكل الاول مستطيلا وله ذنب دقيق طويل وعند مغرز هذا الذنب في بدنه ذنب آخر غليظ قصير فيسبح في الماء بتحريك هذين الذنين وبعد ان يسبح مدة تختلف من بضع دقائق الى بضع ساعات يسكن ويصير كرويا كما ترى في الشكل الثاني ويبقى ذنبه الطويل متحركا متمججا كالانفي وحركته تجعل أمواجها في الماء تندفع

اليه بما فيها من الميكروبات. وحينما تدنو هذه الميكروبات منه ينحني عليها ذنبه الطويل وتفتح لها فتحة بين الذنين فتلتها . على هذه الصورة يلتقم هذا الحيوان غذاءه وقد يلتقم حيوانات صغيرة من نوعه كما ترى في الشكل الثالث والرابع فهو من الحيوانات المترسة على صخر جسمه وحقارة قدره . وقد التقم واحد امامي خمس حيوانات صغيرة من نوعه في تسع ساعات وقبض على ثلاثة أخرى ليلتلم الكنها فلتصت منه وهربت بعد ان كاد يقتربها وفي باطنه سائل حامض يهضم ما يقتربه كما تهضم معدنا الطعام ثم يسكن مدة بعد ما يقتضي الغذاء الكافي ويهود جسمه مستطيلا كما كان اولا وتكثر المادة الحبيبية فيه ويحدث له حينئذ امر من امرين إما ان يستدق من وسطه كما ترى في الشكل الخامس ثم ينقسم الى حيوانين مستقلين كما ترى في الشكل السادس كل منهما مثل الحيوان الاول وإما أن يتغير شكله وتضغف حركته ويأتي حيوان آخر يشبهه وهو في شكله الاول ويتصدق به كما ترى في الشكل السابع فيترج الحيوان امتزاج التزاوج الحقيقي وبصيران حيوانا واحدا كرويا فيزول ذنباه ويسكن مدة طويلة ست ساعات أو أكثر ثم ينفجر من احد جوانبه وتخرج البزور منه كما ترى في الشكل الثامن وكل منها جزء من ثلاثين ألف جزء من العقدة . وهذه البزور تهوم في الماء وتنمو رويدا رويدا وبعد نحو ساعتين يتولد لكل منها ذنبان وبصير حيوانا كاملا . أي ان هذا الحيوان الذي لا يرى بالعين لصفه يولد ويتحرك ويتغذى ويتزوج ويلد حيوانات كثيرة من نوعه إما بالانقسام وإما بالولادة وكما في مياه الارض من الملايين وملايين الملايين من مثله ؟ وكما في هوائها وترابها من مثل ذلك ؟ وكل حيوان منها يولد ويسمى ويأكل ويتغذى ويتزوج ويلد وفي بنته من الاعضاء والآلات ما يفوق آلة الطباعة المشار اليها آنفا إهنا واحكاما عدا ما فيها من ذرات العقل المدبر والاعصاب التي تشم وتدير حركات الحيوانات وتكيفها حسب الاحوال التي تعرض لها حتى تهاجم وتدافع وتقترب وتهضم وتتغذى وتتزوج وتتولد

وماهي هذه الحيوانات الميكروسكوبية بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة بالنسبة الى الاسماك والطيور والزحافات والى الحيوانات العليا كالفيل والاسد والفرس والفيل

بل بالنسبة الى الانسان سيد المخلوقات في هذه الارض؟ فهل يقل ان ليس في الكون قوة خاتمة مدبرة أوجدت هذه الكائنات أو أوجدت القوى التي توجدنا وقدبرها وتدير حركاتها ؟؟

هذه هي بعض الآيات البينات التي لا ينفي عقل الانسان عنها وعن ما تدل عليه الا اذا تكلف الاعضاء تكلفا أو كان حاملا لا ينكر ولا يقبس ولا يستجاء

( المثار ) وأينا ان نعيد هنا ما كنا كتبناه في قوله تعالى ذلك حدود الله ومن

يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ، في معنى ما جاء في تطبيق المقطف عن ضرر الكفر وفساده للعمران ، ويبان ان الايمان بالله تعالى لا يكفي لحفظ

العمران من افساد الكفر حتى يضم اليه الايمان بالوحي والرسول عليهم الصلاة والسلام وهو الاستاذ الامام : طاعة الرسول هي طاعة الله بينها لانه انما يأمرنا بما يوحى

اليه الله من مصالحنا التي فيها سعادتنا في الدنيا والآخرة وانما يذكر الرسول مع طاعة الله لان من الناس من كانوا يتقدمون قبل اليهودية وبعدها وكذلك بعد الاسلام

الي اليوم ان الانسان يمكن أن يستغنى بعقله وخطه عن الوحي ، يقول أسداهم اني أعتقد أن للعالم صانعا عليا حكما وأعمل بعد ذلك بما يصل اليه عقلي من الخبر واجتنب

الشر وهذا خطأ من الانسان ولو صح ذلك لما كان في حاجة الي الرسول وقد تقدم في تفسير سورة الفاتحة ان الانسان محتاج بطبيعته النوعية الي هداية الدين وانها هي

الهداية الرابعة التي وهبها الله للانسان بدهداية الحواس والوجدان والعقل فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيا لهداية أمة من أممه ومراقب له بدون معونة الدين

أقول يرد على هذا من جانب المرتابين والملاحدة : اننا نرى كثيرا من أفراد الناس لا يدينون بدين وهم في درجة عالية من الافكار والآداب وحسن الاعمال

التي تفهم وتنفع الناس حتى ان العاقل المجرود عن التعصب الديني يفتنى لو كان الناس كلهم مثله بل يسعى كثير من الفلاسفة لجعل الامم مثل هؤلاء الافراد في آدابهم

وارتقائهم . وأجيب عن هذا ( أولا ) بأن الكلام في هداية الجماعات من البشر كالشعوب والقبائل والامم الذين يتحقق بارتقائهم معنى الانسانية في الحياة الاجتماعية

سواء كانت بدوية أو مدنية، وقد علمنا التاريخ انه لم تم مدينة في الارض من المدنيات

التي وعافها وعرفها إلا على أساس الدين حتى مدنيات الام الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين ، وعلنا القرآن انه مامن أمة إلا وقد خلا فيها نذير مومل من الله عز وجل طدايتها فنجح بهذا نرى ان تلك الديانات الوثنية كان لها أصل الهي ثم سرت الوثنية الى أهلها حتى غلبت على أصلها كاسرت الى من بعدهم من أهل الديانات التي بقي أصلها كله أو بعضه على سبيل القطع أو على سبيل الظن . وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما الا الديانة الاسلامية وهو مع ذلك قد دون في أسفاره كيفية سريان الوثنية الجلية أو الخفية الى كثير من المنسبين اليها كالتصيرية وسائر الباطنية وغيرهم ممن غلب عليهم التأويل أو الجهل حتى أنه يوجد في هذا العصر من المتمين الى الاسلام من لا يعرفون من أحكامه الظاهرة غير قليل مما يخالفون به جيرانهم كجواز أكل لحم البقر في الاطراف الشاسعة من الهند وكيفية الزواج ودفن الموتى في بعض بلاد روسيا وغيرها ، فمن علم هذا لا يستبعد تحول الديانات الالهية القديمة الى الوثنية

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدينة لان الارتقاء المنوي هو الذي يمث على الارتقاء المادي وما نحن أولاء تقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتهاعين في هذا العصر ( هربرت سينسر ) ان آداب الام وفضائلها التي هي قوام مدنيها مستندة كلها الى الدين وقائمة على أساسه وان بعض العلماء يحاولون تحويلها عن أساس الدين وبنائها على أساس العلم والعقل وان الامم التي يجري فيها هذا التحويل لا بد ان تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها . هذا معنى كلامه في بعض كتبه وقد قال هو للاستاذ الامام في حديث له معه : ان الفضيلة قد اعتلت في الامة الانكليزية وضعفت في هذه السنين الاخيرة من حيث قوي فيها الطعم المادي . ونحن نعلم أن الامة الانكليزية من أشد أم أوروبا تمسكا بالدين مع كون مدنيها أثبت وهدمها أم لأن الدين قوام المدنية بما فيه من روح الفضائل والآداب على أن المدنية الأوروبية بعيدة عن روح الديانة المسيحية وهو الزهد في المال والسلطان وزينة الدنيا ، فلولا غلبة بعض آداب الانجيل على تلك الامم لا سرفوا في مدنيهم المادية امرافا غير مقنون بشي من البر وعمل الخير وأذا لبادت

مدينتهم . ريعا . ومن يقل انه سيكون أبعدها عن الدين أقربها الى السقوط والهلاك  
لا يكون مفتتا في الحكم ولا بعيدا عن قواعد علم الاجتماع فيه . فحاصل هذا الجواب  
الاول عن ذلك الايراد أن وجود أفراد من الفضلاء غير المتدينين لا ينقض ما قاله  
الاستاذ الامام من كون الدين هو المداية الرابعة لنوع الانسان التي تسوقه الى  
كآله المدني في الدنيا كما تسوقه الى سعادة الآخرة

وثانيا انه لا يمكن الجزم بأن فلانا الملمع الذي تراه علي الافكار والآداب  
قد نشأ على الآحاد وتربى عليه من صغره حتى يقال انه قد استغنى في ذلك عن  
الدين لاننا لانعرف أمة من الامم تربي أولادها على الآحاد وانما نعرف بعض هؤلاء  
الملمعين الذين يهدون في مقدمة المرتقين بين قومهم ونعلم أنهم كانوا في نشأتهم  
الاولى من أشد الناس تدينا واتباعا لآداب دينهم وفضائله ثم طرأ عليهم الآحاد  
في الكبر بعد الخوض في الفلسفة التي تناقض بعض أصول ذلك الدين الذي نشأوا  
عليه ، والفلسفة قد تغير بعض عقائد الانسان وآرائه ولكن لا يوجد فيها ما يوجب له  
الفضائل والآداب الدينية ، أو يذهب بملكاته واخلاقه الراسخة كلها ، وانما يسطو  
الآحاد على بعض آداب الدين كالتفاحة بالمال الحلال فيزين لصاحبه ان يستكبر  
من المال ولو من الحرام كأكل حقوق الناس واقهار بشرط ان يثني ما يجمله حقيرا  
بين من يمشي معهم أو يلقبه في السجن وكالمغمة في الشهوات فيبيح له من الفواحش  
ما لا يخل بالشروط المذكور آنفا هذا اذا كان راقيا في أفكاره وآدابه ، وأما غير  
الراقين منهم فهم الذين لا يصددهم عن الفساد في الارض واهلاك الحرث والنسل  
الا القوة القاهرة ولولا أن دول أوروبا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة  
والشرطة (البوليس والضابطة) ثم تنظمت وجمعت الجيوش المنظمة عونا لها عند الحاجة لما حفظ  
لأحد عندها عرض ولا مال ، ولعمت بلادها الفوضى والاختلال ، ولقد كانت  
الحقوق والاعراض محفوظة في الامم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان  
الدين مرجعا في الآداب والاحكام . فتبين بهذا ان طاعة الله ورسوله لا بد منها لسعادة  
الدنيا ، على ان السياق هنا قد جاء لما يتعلق بالسعادة الدائمة في الحياة الآخرة